

بسم الله الرحمن الرحيم

(تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)

سورة يوسف الآية (76)

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقي وملاحقة العصر إلا بمزيد من المعرفة، فهي النور الذي يهديننا إلى الطريق الصحيح، ولأن مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة تنتسم عطرها ربيعاً للثقافة العربية الأصيلة....

وقد قطعنا على أنفسنا عهداً ووعداً في هيئة تحرير مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً لجامعة دمشق.

وجاء صدور هذا العدد مع تعيين أعضاء هيئة تحرير جُدد للمجلة، من الباحثين العلميين المتخصصين والأساتذة الأكاديميين المشهود لهم بالاستبصار وريادتهم العلمية، ويتمثل عملهم على ركيزتين أساسيتين:

الأولى: العمل على التغيير الفكري والاهتمام بقيمة البحث العلمي ومنحه مكانة رائدة في التعليم الجامعي.

الثانية: إعادة النظر في المفاهيم العلمية، وتقديم صياغة مبتكرة للأعمال البحثية تهدف إلى إبراز أصحاب الدراسة الحقيقية، والأبحاث الموضوعية، التي ترتبط عضواً وعقلياً، لبناء تصور جديد للعلاقة بين البحث العلمي والحياة.

إن البحث العلمي لا يتحدد بكم المعلومات والمعارف والقيم المختزنة، التي يوفرها باحث معين، فهذا هو الجزء الأيسر والأسهل من مكونات العمل البحثي، وإذا اقتصر الأمر على هذا المفهوم للبحث العلمي، يصبح كل من يعدّ بحثاً باحثاً علمياً بشكل ما، وكذلك لا يتعلّق بالقدر الذي يتوافر لديه من المعلومات والمعارف والقيم التي اكتسبها من قراءته وإطلاعاته ودراساته وتحليلاته لموضوع معين.

لكن الموضوع الأصعب للبحث العلمي وتوسعي مجلاتنا إلى تحقيقه، هو القدرة على إدراك الترابط الخفي، والعلاقات غير المنظورة فيما بين مجموعة من المعلومات والمعارف والقيم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إدراك العلاقة بين هذه المعلومات والمعارف والقيم وواقع الحال في المجتمع، ومسار الحياة في تطوره المتجدد.

وفي سياق الحديث عن البحث العلمي مجال اهتمام مجلاتنا وعلاقته بالواقع المعيش نطرح بعض الأمور، ونلقي الضوء على بعض الأفكار، منها:

1- يعتقد كثيرون أن غاية البحث العلمي هي إعمال الفكر أو التنظير، والنتيجة هي تحول عدد كبير من الباحثين إلى مكتبات متنقلة بما لديهم من أبحاث، ولا يماري أحد في أهمية الفكر، سواءً أكان إبداعاً ذاتياً أو على الأقل اطلاقاً على إبداع غيره، ولكن يبقى الهدف الأسمى للبحث العلمي في امتداد هذا الفكر إلى أرض الواقع، وارتباطه بشؤون الحياة مجسداً في تطبيقات عملية تخدم التغيير الاجتماعي، وتسهم في تنمية المجتمع والارتقاء به.

2- إن سد الفجوة أو تقريب الهوة بين ما يندرج في مجال إعمال العقل أي الفكر، وما يقع في مجال الممارسة أي الفعل، هو جزء أساسي في البحث العلمي يقع على عاتق الباحثين الذين عليهم مهمة ترجمة الأفكار إلى كيان حي متحرك ملموس، وإخراجها من حيز الكلام المكتوب إلى واقع الحياة العملية، وهذا العمل في نفسه يُعدُّ قيمة علمية كبرى، وقدرة بحثية بالغة الأهمية لها إبداعها ومهارتها.

3- تعاني مجتمعاتنا العربية هذه الأيام مشكلة العجز عن تحويل "الفكر المجرد" إلى "قيمة حياتية" معيشة يمكن لمسها فتتغير الحياة وتضيف إليها بعداً جديداً، ويكون لذلك مردود إيجابي على الفكر، إذ يظهر قدرته على التأثير في أوضاع الحياة، ويكشف عن مدى صلاحيته العملية، ومرونته التطبيقية، بحيث يصبح في حالة امتزاج كامل مع احتياجات المجتمع ومشكلات الناس.

ولا يعني ذلك القول إننا مع إعطاء الفكر أولوية مطلقة لا تناقش، فهذا ممّا حدا ببعضهم إلى الإفراط في القول منادياً "يسقط الفكر وتحيا الحياة"، كما لا نصل إلى الأخذ بالرأي الآخر المضاد الذي نادى به المفكر النمساوي المرموق "لودفيك فتنكشتاين" صاحب المقولة الشهيرة "قراءة الكتب تحرم الإنسان من التفكير بنفسه"، ولكن الخيار الذي نراه، والنهج الذي تتبعه مجلاتنا، يتمثل في أن الحياة مثلما تحتاج إلى الباحث العلمي الذي يجيد التفكير ويملك ناصية قراءة النص، تحتاج أيضاً بالقدر نفسه، إلى الباحث الذي يجيد الفعل والعمل، أي يملك القدرة على قراءة الحياة.

- وفي سبيل تحقيق ما تقدم أسمح لنفسي أن أقتبس من الأستاذ الدكتور وهب رومية رئيس تحرير مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية رؤيته لتطوير مجلات جامعة دمشق* بالافتتاحات التالية:
- 1- تنمية الموقف النقدي وتعميقه في أبحاث المجلات كلها بلا استثناء؛ لأنه السبيل الوحيد لتقدم العلم ونمو المعرفة. إن الإنسانية قاطبة تدين لهذا الموقف بكل ما تنعم به من اكتشافات ومخترعات، ولولاه لظل البشر يركبون الدواب، ويتداونون بالكي والأعشاب، ويسكنون الأكواخ المظلمة، وظلت الطبيعة مصدر خوف وتهديد للبشر لأنها مملوءة بالظلام.
 - 2- الكف عن البحث في تاريخ العلم، والبحث في العلم نفسه.
 - 3- تغليب الكيف على الكم، فليس المهم كثرة الأبحاث بل المهم نوعيتها وعمقها.
 - 4- أن تكون الأبحاث في العلوم الاقتصادية والقانونية والشرعية والسياسية... مطبوعة بطابع عربي؛ أي أن تكون أبحاثاً عربية لقراء عرب، وهذا يستدعي تمثل ثقافة الآخر وهضمها وتحويلها إلى جزء من نسيج الثقافة العربية، كل الفلسفات الكبرى في التاريخ انطبعت بالطوائف القومية للشعوب: الاشتراكية - الإسلام - المسيحية.
 - 5- الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والمعرفية المعاصرة، وما أكثر الموضوعات الاجتماعية التي تنتظر البحث!
 - 6- الاهتمام بالبحوث الميدانية اهتماماً لا يكتفي بالمنهج الوصفي، بل يتجاوزه إلى المنهج التحليلي، أو التحليلي التاريخي، أو التفكيكي، أو البنوي التوليدي، أو... وتفسير هذه البحوث تفسيراً علمياً نقدياً.
 - 7- اعتماد صيغة فريق البحث، ولاسيما في البحوث الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والشرعية والسياسية.
 - 8- ربط الأبحاث الميدانية ربطاً فعلياً بحاجات المجتمع في قطاعاته المختلفة الخاص والعام والمشارك؛ أي أن تقدم هذه الأبحاث تصورات علمية أو حلولاً للمشكلات التي تطلب دراستها في الاقتصاد والقانون والشرعية والسياسة... ويجب أن ترسل هذه الأبحاث إلى الجهات المختصة لدراستها، وإبداء الرأي فيها.
 - 9- توفير حوض الحرية للباحثين، وعدم التخوف من إجراء أية بحوث مهما تكون حساسة اجتماعياً أو سياسياً، فلا توجد محظورات في البحث العلمي وأخلاقياته.
 - 10- التزام قواعد البحث العلمي وأخلاقياته.

11- العناية باللغة العربية الوسطى الفصيحة، لا بلغة المعاجم والمتون القديمة، وذلك لأن هذه اللغة هي المعبرة عن روح الأمة ونظرتها إلى العالم، إن اللغة لا تزدهر أو تنحط من تلقاء نفسها، ولكنها تنحط بانحطاط أهلها، وتزدهر بتقدمهم وازدهار حضارتهم.

بهذا الأسلوب المنهجي والعلمي الذي يربط بين الفكر والحياة نتقدم بالدراسات والأبحاث للقارئ المتخصص والمتقّف بوجه عام، لتعيد إلينا في تصورنا صدى تلك المجالات العلمية الأكاديمية التي حررها أساتذة كبار وشارك فيها أعلام أفاض، فكانت لها قيمة علمية كبيرة، كما هو حال مجلة العلوم الاقتصادية والقانونية التي كان يرأس تحريرها كبار رجال العلم في جامعة دمشق، أمثال الأستاذ الدكتور إلياس حداد والأستاذ الدكتور عبود السراج، وكل من سبقهم في رئاسة التحرير وهيئة التحرير، ولا بد من أن نتوجه بالشكر إلى كل من أسهم في التقدم والارتقاء بمجلة الجامعة فكانت لها قيمة علمية لا تتحقق في ملكوت الذهن وحده، وإنما في ملكوت الفعل والعمل والواقع*.

وبالله التوفيق

رئيس التحرير
أ.د. محمد الحلاق

* افتتاحية العدد- مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية المجلد 32 العدد 2 عام 2016.